

## السياسة بمنطق الملاحه عند ابن رشد

### الممكن والاستعارة

#### فؤاد بن أحمد

#### دار الحديث الحسنية

"الملاح إنما عليه أن يفعل في كل وقت ما شأنه أن يكون به الخلاص من الغرق، وليس عليه أكثر منه [...] وبالجملة الصنائع التي يحتاج مستعملوها إلى الروية في شيء مما يفعلونه حتى يبلغوا به الغرض، فإن كل صناعة كانت تحتاج في بلوغ غرضها إلى الروية فإن فيها من النقص بحسب الحاجة إلى زيادة الروية فيها؛ الفارابي، كتاب الجدل، ص 42.

"غرض الملاح إنما هو نجاته ركاب السفينة، لا نجاته هو فحسب، [على عكس ما عليه] أمر المتسلط، فهو لا يضع نصب عينيه إلا ما تقفو إليه نفسه"؛ ابن رشد، الضروري في السياسة، ص 177، ف 270.

#### تقديم

ما كان ابن رشد ليطمئن عموماً للمقاربات المنبئية على الاستعارات والتمثيلات؛ لأن هذه في نظره لا تقدم تعريفات وحدوداً للأشياء والموجودات، بل إن اللجوء إليها قد يتسبب في الغموض، وذلك لمكان أن الشيء يوصف وصفاً غامضاً إذا قيل على جهة الاستعارة، ولاحتمال أن يؤخذ فيه الممثل به بدل الممثل له. لذلك نراه يحذر من المثال ومن الاستعارات. لكن الواقع هو أن الرجل كان ينظر إلى السياسة مثلاً على أنها أمر شبيه بعلوم وصنائع أخرى يمكن أن نقتبس منها بعض خصائصها وبعض الأحكام المتعلقة بما لتعديتها إلى القول السياسي. وقد اخترنا من هذه الصنائع صناعة الملاحه لا فقط لأنها الأكثر وروداً عنده، وإنما أيضاً لأن هذه الاستعارات الملاحية امتدت، واغتنت عبر تاريخ الفكر البشري، ولا زالت تستعمل اليوم في مجالات الحياة اليومية والسياسية.

ليس غرضنا التنبيه إلى الدور التعريضي والتلميحى لهذه الاستعارة، وهو أمر درج الكتاب القدماء على استعماله من أجل تضمين مواقفهم السياسية في هذه الاستعارات، تجنباً لكل تورط في موقف

صريح أو مباشر قد يضع صاحبه أمام تبعات تحمل المسؤولية. وإنما نقصد النظر في تلك الصور التي تنتمي إلى عالم الملاحه وطرق انتقالها إلى عالم السياسة؛ أعني كيف انتقلت بعض الأحكام المتعلقة بالربان، وبالسكّان، وبالسفينه، إلى القائد، والحكم، والدولة.

لماذا اختار ابن رشد صناعة الملاحه ليمثل بها في قضايا السياسة؟ ماذا يعني أن تكون الاستعارة مدخلا أو آلة لفحص ومعالجة مسائل تتعلق بالعلم المدني؟ ماذا يعني أن نفكر بالاستعارة في السياسة والسياسي في زمن ابن رشد؟

### 1- الملاحه: استعارة وصناعة

يمكن القول عموما إن عملية التمثيل بالملاحه كانت أمرا شائعا في الفكر البشري القديم؛ اعتبارا ربما لأدوارها التاريخية والحضارية الكبرى. كما يمكن القول إن العصر الحالي قد استعاد الجهاز المفهومي لهذه الصناعة للتمثيل به في سياق عالم المعلومات (الإنترنت) الذي يبدو بعيدا عن السياق الذي استثمر فيه أول الأمر. ولم ينفرد عالم الانترنت باستعارة الجهاز المفهومي للملاحه، فقد عمد الفكر البشري، عندما حصل حديثا غزو الفضاء، إلى اشتقاق صناعة قائمة الذات اشتق لها اسم الملاحه الجوية، وهي أصعب وأعقد من الملاحه البحرية، التي هي أقدم؛ وعنهما نشأت صناعة الملاحه. ويمكن أن نقول إن الأمر لم يعد يتعلق باستعارة من أصل، بل أضحت الملاحه الجوية مجالا مستقلا وقائم الذات، ولن نستوعبه بمجرد رد مفاهيمه إلى الملاحه البحرية، على اعتبار أنهما الأصل المفترض في التسمية. ويتعلق الأمر نفسه بالملاحه عبر الانترنت. صحيح أن هناك اشتراكا في الاسم يعود أساسا إلى استعارة تسميات الملاحه البحرية، وإطلاقها على عالم الانترنت، لكن ليس هناك اشتراك حقيقي بين العوالم الثلاثة. فلا طائرة ولا سفن ولا ماء ولا هواء، ولا محرك، اللهم إلا مكانا ومحركا لا يحملان من أسماء الأمكنة والحركات الهوائية والمائية والفضائية سوى الاسم. وهما كذلك ليس لأنهما فارغا المعنى، بل لأنهما يحملان معان أخرى قائمة بذاتها.

وعموما فقد عرف التمثيل بالملاحه تعددا لتجلياته في الفكر البشري القديم، بحيث لم يحصل التمثيل فقط بالصناعة بما هي صناعة أو فن، بل بكل أمورها ولوازمها، كالسفينه، والربان، والسكان، والمحرك... وهذا التعدد وازاه تعدد في المجالات الإنسانية التي شهدت استثمار هذا التمثيل. فقد استعارت الأدبيات الدينية والصوفية، ولا زالت تستعير مكونات صناعة الملاحه لتقريب أقوالها وتبليغ مشاهدتها (1). لكن ربما يكون الفكر السياسي قد استثمر أكثر من غيره أمثلة السفينه والربان والدفة، وهو المجال الذي سنحصر فيه حديثنا (2).

أضحى اليوم مثال السفينة استعارة كلاسيكية مستهلكة أو "مبتذلة"، وإن كانت لازالت "صحيحة" في نظر الدارسين،(3) فقد استعملت على نحو شائع في تاريخ الفكر السياسي بأشكاله وأنواعه المختلفة، واستعملت في الغالب في الخطابات المتصلة بتدبير شؤون المدينة. ولم يستثمرها المفكرون والنظار فقط، بل استعملها الحكام والملوك أيضا؛ فقد أحكم بعض الحكام استخدامها لتحميل صورتهم، وتسويغ قراراتهم في مختلف مراحل التاريخ. والشيء نفسه يمكن أن نقوله عن الربان؛ فسورته من أجمل الصور التي أبدعها الأدب السياسي. ولا تكمن قوة إيجاء هذه الصورة فقط في ما تنطوي عليه من تفسير للسلطة، أو للحكم بلغة القيادة Pilotage والريادة، وإنما أيضا في ما تدل عليه من سير، وانتقال، وانقلاب، ومغامرة من جهة، ومن معرفة تطبيقية موظفة في خدمة فرد، أو مجموعة بشرية معينة تطلب الوصول إلى هدف معين(4).

وعموما فاستعارات السفينة والربان والسفر على متن السفينة تحمل أبعادا تأويلية في غاية الغنى والتشعب؛ وقد تفنن فلاسفة اليونان والإسلام في استعمال هذه الاستعارة الشفافة. السفينة مصنوع من إنتاج الإنسان بواسطته يجابه الناس أعالي البحار؛ وهي تخدمهم بقدر ما تكون جودة بنائها وصنعها عالية. وبالجملة تمثل السفينة صورة مجتمع، ودولة وحضارة تواجه دورات الزمان، وتتخطى الأزمات والتقلبا (5). إنها في الحقيقة صورة حية للمصالح المجتمعية المتشابكة والهشة في الآن نفسه. تدل السفينة على مصنوع يُحمَلُ بالأشياء والبشر، كان في الأصل خشبة خفيفة لكنها شديدة المقاومة، تحرك بانتظام شديد، وتوجه في اتجاه يجب أن يكون مضبوطا؛ وتقوم على تدبير عجيب للمؤن وللطاقات وللحسابات. تحمل الأحياء ومنهم المسافرون، والعمال، والقبطان، والطاقم، وسلاح من الخدم، هؤلاء قد يقضون نحبهم خلال الرحلة فيخلفهم آخرون، وهكذا، تماما كما الدول والأمم. وعموما فالسفينة صورة حية لمصالح مجتمع لا يعرف الاستقرار. لعله لأجل هذا ستظل «هذه الاستعارة أقدم وأجمل صورة استعملها الناس عند تعرضهم لهذه الأفكار»(6).

لكن قبل أن نعرض لبعض من هذه الأفكار، لابد من القول إن الأمر في اللغتين اللاتينية واليونانية gubernare, kubernan لا يتعلق باستعارة فقط بل باشتقاق حقيقي من المعجم الملاحي، فاسم الحاكم أو القائد يقال بالأساس على قائد السفينة، أو تحديدا على من يأخذ بالسكّان gouvernail؛ وهو يستمد سلطته من هذا الموقع بالضبط. أما في اللسان الفرنسي، فلم يظهر اسم الحاكم gouverneur سوى في القرن الحادي عشر وكان ذلك بمعان متعددة؛ منها رعاية القطيع والناس معا وتنشئة هؤلاء أخلاقيا وتربويا (7).

نجد هذه الاستعارة أو الصورة في نصوص أفلاطون وأرسطو والفارابي وآخرين؛ وقد استثمروها في مجالات متنوعة، ولأغراض مختلفة. ويمثل ابن رشد بدوره بأمور الملاحه في مواضع شتى من كتبه. نجد التمثيل بعلم الملاحه في الكليات في الطب، وبالربان والسفينة في تلخيص كتاب الخطابة، وفي الضروري في السياسة، كما نجده في تفسير ما بعد الطبيعة(8). غير أن الحضور الملفت لمثال أمور الملاحه في النصوص الرشدية عموماً، والذي لا تتميز فيه النصوص النظرية عن تلك الموجهة إلى العمل، يميلنا على التساؤل عن مسوغات الاستعمال، وعن نتائجها. صحيح أن الضروري في السياسة غالباً ما يقيم مقاييسات بين صناعتي الملاحه والفلسفة، وهي - أو بعضها على الأقل - ذات أصول أفلاطونية كما سنرى، لكن فحص هذه المقاييسات في ضوء هذه الأصول من شأنه أن يبين لنا أبعادها ودلالاتها، كما من شأنه أن يكشف لنا عن حدودها مقارنة بتلك التي أعاد إخراجها ابن رشد في الضروري.

لن نسرد في هذا الموضوع تاريخاً للتمثيل بصناعة الملاحه، وإنما سنكتفي بفحص مختلف أبعادها الممكنة عند أبي الوليد ابن رشد، وذلك اعتماداً على بعض النصوص التي لم تكن موضوع انتقاء مسبق، وقد أشرنا قبل قليل إليها.

## 2- الممكن وأنواعه ومدخله في الصنائع

الملاحه في نظر ابن رشد صناعة فاعلة؛ أي علم تطبيقي، وهي أقرب الصنائع إلى صناعة الطب وصناعة قود الجيوش، والقرب لا يعني تبادلاً للمبادئ، وإنما تشابهاً من جهة الآليات المستعملة والغايات المتوخاة. قوام هذا العلم التطبيقي أقاويل كلية هي الأصل في الصناعة، وأخرى جزئية تخص كل حالة حالة. ومع ذلك لا بد من التنبيه على أن صناعات مثل الملاحه والطب وقود الجيوش، هي كلها، فضلاً عن كونها فاعلة، صناعات تدور في فلك الممكن، ولا تفضي إلى تحصيل نتائجها ضرورة. ويمكن أن نضيف، إلى ما سبق، أن هذه الصنائع تقترب من صناعة أخرى ليست تطبيقية، وإنما قولية عموماً، وهي الخطابة التي تشترك معها في طبيعتها القائمة أساساً على الإمكان لا على الضرورة.

ولكن ما هي هذه المعاني التي يحملها مفهوم الإمكان في سياق فلسفة ابن رشد؟ لقد عالج أرسطو مفهوم الممكن في كتاب التحيلات الأولى وهو ما يعرف أيضاً بالقياس، وتحدث فيه عن ضربين للممكن:

1. "الضرب الواحد ما كان على الأكثر، وغير ثابت الاضطرار؛"
2. "الضرب الآخر هو غير المحدود وهو الذي يمكن فيه أن يكون وألا يكون"(9)

أما ابن رشد فقد أضاف إلى هذين المعنيين في شرحه هذه الفقرة معنى ثالثا. وهكذا نكون أمام ثلاثة معانٍ للممكن:

1. الممكن على الأكثر؛

2. الممكن على الأقل؛

3. الممكن على التساوي (10).

لقد استعمل ابن رشد في تمثيله للمعنى الأول من الممكن محتمل الحصول المثال ذاته الذي استعمله أرسطو: "يشيب الإنسان في سن الشيخوخة، وينمى في سن الشباب" (11)؛ ويمثل لغير المحتمل، وهو المعنى الثاني الذي لم يذكره أرسطو، بمثال نقيض: "لا يشيب الإنسان في سن الاكتهال، ولا ينمى في سن الشباب". أما مثاله للممكن على التساوي فهو "تمزق هذا الثوب أو لا تمزقه" (12)؛ أما المثال الذي يستشهد به أرسطو فهو "ما يحدث بالاتفاق"، أو "أن يمشي الحيوان أو لا يمشي" (13).

ويخلصُ أرسطو من هذه المناقشة لمعنى الممكن إلى ضرورة التمييز بين "غير الحدود [...] الذي ليس تحيط به معرفة ولا عليه قياس برهاني، من أجل أن الحد الأوسط فيه مختلف الحال. وأما الحد الممكن المطبوع لأن يكون، فتحيط به معرفة وعليه برهان. وأكثر ذلك إنما يكون الكلام والفحص عن مثل هذا الممكن" (14). يتفق ابن رشد مع هذا المعنى، ويستغل هذه المناسبة للتمييز بين البرهان وباقي أنواع الاستدلال. وقد كتب قائلاً: "والممكن على الأقل وعلى التساوي فلا تستعمله صناعة البرهان، وقد تستعمله صنائع أخرى مثل الخطابة - فإنها قد تستعمل الممكن على التساوي؛ وأما الزجر والتكهن فإنها تستعمل الممكن على الأقل" (15). وهذا ما يعود ليؤكد في تلخيص كتاب البرهان حيث نجد يميز المقدمات البرهانية عن غيرها: "والبرهان إنما يكون في هاتين الطبيعتين، أعني الضرورية أو الممكنة على الأكثر، إذ كان كل برهان فيما أن تكون مقدماته ضرورية، كما سلف، وإما جارية على الأكثر. والنتيجة اللازمة عن المقدمات الضرورية تكون ضرورية، واللازمة عن المقدمات التي على الأكثر تكون على الأكثر"؛ لذلك فإن "الأشياء التي تحدث بالاتفاق وعلى الأقل، فليس يكون عليها برهان. إذ كان ما يحدث بالاتفاق ليس هو من الأشياء التي توجد بالضرورة، ولا من الأشياء التي توجد على الأكثر" (16).

يمكننا أن نفهم من هذه الأقوال الداعي الذي دعا ابن رشد إلى إعمال تلك القسمة الثلاثية، واختياره لتلك الأمثلة؛ لعله أراد من خلال تركيزه على مثال الممكن على الأقل، وعلى مثال الممكن على التساوي إلى حد ما أيضا، ومن خلال ربط هذين المثالين بالخطابة وبالصنائع الأخرى غير

البرهانية، أن يبرز الفرق بين مرتبة التصديق التي تحصل في هذه الصناعات وبين مرتبة التصديق التي تحصل في صناعة البرهان؛ ومن ثم تنبيه القارئ إلى نواقص بعض الاستدلالات غير البرهانية، من قبيل الاستدلالات الخطائية التي لا تُحصّل سوى الممكن، حتى وإن كان ممكناً على التساوي، والاستدلالات الجدلية التي تحصل الممكن على الأكثر، وإن كان ابن رشد يلمح أعلاه إلى أن تحصيل الممكن على الأكثر قد يكون من شأن البرهان أيضاً.

هكذا يكون ابن رشد قد اتخذ من أمثله على أنواع الممكن مناسبة لإقامة تفاضل بين الصناعات وبين أصحابها. وهكذا فصناعة البرهان تحصل الضروري بالنظر إلى مقدماته، والجدل الممكن على الأكثر بالنظر إلى مقدماته المشهورة في الحقيقة، وليس بوسع الخطابة سوى تحصيل الممكن على التساوي. وفي الحقيقة فهذه هي الصناعات المنطقية الحقيقية، أما صناعة السفسطة فلا تُحصّل سوى الممكن على الأقل. ولا ينحصر هذا الأمر في الصناعات القولية، بل يمتد إلى شتى الصناعات التي يتعاطى لها الإنسان. فقد كان عظم الممكن المحصل في كل صناعة صناعة معيار التمييز. وهكذا فإن صناعة مثل الطب أو الملاحظة لا تحصل سوى الممكن على الأكثر أو على المساوي، هي التي تقوم على معرفة نظرية وخبرة عملية. أما أشباه الصناعات من قبيل التكهن والزجر، فلا يمكن أن تحصل سوى الممكن على الأقل. ولعل إخراج ابن رشد لهذا النوع من "الصناعات" عن دائرة الصناعات الحقيقية يعبر في العمق عن موقفه من الاتفاق، أو الصدفة التي لا موضع لها في عالمه التاريخي والميتافيزيقي، المحكومين بالضرورة أو بالممكن على الأكثر لأتما مشدودان بالمعرفة النظرية والتدبير السديد (الحكمة).

### 3- أبعاد التمثيل بأمور الملاحظة: الموقف من البخت والأهلية

يمكن القول إن مقدار ما تبلغه صناعة الملاحظة من غايتها "هو المقدار الذي تبلغه الصناعات التي غايتها ممكن على الأكثر حصولها لأكثر موضوعاتها في أكثر الأزمنة". إن الممكن مهما يكن واسعاً يبقى في دائرة الممكن التي تقابل دائرة الضروري، ولكنه أيضاً يقابل في نفس دائرته الممكن على الأقل الذي يظل في متناول الذي ليس من أهل الصناعة، أو الصناعات الشبيهة التي تعتمد الصدفة والاتفاق. لذلك فالملاح وبمحكم اختصاصه، ومعرفته، وتدييره المحكم، هو وحده القادر على تحصيل الممكن على الأكثر؛ أما من ليس من أهل الصناعة فليس بوسعه سوى الممكن على الأقل.

والحقيقة أن ما يفسر مقايضة ابن رشد بين صناعة الملاحظة وصناعة الطب هو وضعيتهما العامة بالنسبة إلى غايتيهما: "والسبب في أن غاية هذه الصناعة [الطب] قد يخل وجودها في موضوعها على الأقل هو السبب فيما يشبهها من الصناعات الممكنة كقيادة الجيوش والملاحظة" (17). المعول عليه في هذه

المقايسة إذن هو التشابه الموجود بينهما، ولكن ليس أي تشابه كان وإنما التشابه في العلة التي من أجلها ثبت وصدق أن صناعة الطب صناعة ممكنة؛ أي التشابه في علة الحكم المنقول والمعدى من الطب إلى الملاحظة. إن التشابه في السبب هو الذي يجعل وضعية الصناعتين وضعية واحدة بالنسبة إلى غايتيهما. وهذا ما عبر عنه ابن رشد في بداية كتاب الكليات في الطب: "فإن هذه الصناعة [الطب] ليس غايتها أن تبرئ ولا بد، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة وقود الجيوش" (18). من هنا فإن "تشبيه علم الطب بعلم الملاحة البحرية واضح من كون علم الملاحة يشتمل على معارف نظرية تتناول البحر والموج والطقس والرياح والنجوم، الخ. ولكن قائد السفينة يطبق هذه المعلومات والمعرفة حسب الحالات الواقعية والتي تتغير حسب الظروف الزمانية والمكانية" (19). فإذا زاول الإنسان أعمال هذه الصناعات، أي الملاحة، والطب والقيادة العسكرية، حصلت له مقدمات تجريبية يقدر أن يوجد بها تلك الكليات في المواد، لكن دون أن يوجد بالضرورة. وذلك هو حال جميع الصنائع العملية التي تستعمل الروية، وهي الصناعات التي يخصها أرسطو "بالقوى"، أي فيها أشياء بالقوة يمكن أن تخرج إلى الفعل بالروية وبالبحث والنظر والتدبير (20).

وردت استعارة أو مثال السفينة في كتاب تلخيص كتاب الخطابة في سياق تصوير أصناف المثال. ويحكي فيه ابن رشد عن سقراط قوله: "إنه لا ينبغي أن يتسلط ناس بالقرعة، مثل أن يلزم واحد من أهل السفينة أخذ السكّان بالقرعة، فإن القرعة تصيب أيهم كان من غير أن يكون ذلك ممن يحسن الملاحة" (21).

منذ البداية، يمكن تأطير مفهوم القرعة الوارد في هذا القول ضمن سياق الصناعة عموماً وفي مناخ تقابلي بين "واحد من أهل السفينة" و"من يحسن الملاحة". وإذا نظرنا إلى هذا التقابل من منظور تقابلي أنواع الممكن، تصبح القرعة داخلية في باب الممكن الأدنى؛ بينما الأهلية أو حسن الملاحة ضمن الممكن على الأكثر. وكما ذكرنا سابقاً، يرد موقف ابن رشد من الممكن على الأقل غالباً في سياق الكلام عن الصناعات الممكنة التي لا تؤدي إلى الغاية بالضرورة، من قبيل صناعة الطب والسياسة... لكن هذه الصناعات تختلف عن الصناعات الأخرى التي لا تحصل غايتها إلا على سبيل الصدفة والاتفاق، أو يكون ممكناً على الأقل، من قبيل "صناعة" التكهن والرجز.

كما يرد الكلام عن البحث والاتفاق في سياق التقابل بين ما يقصد بالذات وما بالعرض، يقول في هذا المعنى: "أما [الأمر] التي تحدث بالاتفاق، فهي الأشياء التي سببها الصناعة أو الطبيعة إذا لم يكن

حدوثها مقصوداً عنها، بل بالعرض، بمتزلة الصحة التي تحدث بالاتفاق عن قطع عرق في حرب، أو ما أشبه ذلك، وبتزلة الإصبع السادسة في الأمور الطبيعية، ولذلك الشيء الذي يسمى اتفاقاً وبخناً متى حدث عن الصناعة أو عن الطبيعة فهو الشيء الذي لم تقصده الصناعة ولا الطبيعة. فإن الصناعة والطبيعة كليهما إنما تفعلان لمكان غايةٍ من الغايات ولشيء من الأشياء. ولذلك كان حدوثه أقلياً<sup>(22)</sup>. وبالجملة، فالقرعة من باب ممكن الصدفة والبخت، ومن ثم ممكن غياب النظام؛ أما الأهلية فمن باب ممكن المعرفة بالصناعة، وممكن القدرة على بذل الجهد، وممكن ترتيب الأفعال، وتسديدها نحو غاياتها ترتيباً وتسديداً مقصودين.

يسمح لنا مثال أخذ السكان (أو دفة السفينة) بأن نخلص إلى ضرورة عدم اللجوء إلى القرعة في الحالة التي يكون فيها من الأنسب وضع الأفضل أهلية بين كل المرشحين، وهو استنتاج قائم على علاقة "السببية" بين الملاح والسفينة. وما أن ندرك هذه العلاقة حتى يصبح المطلوب هو استبعاد القرعة؛ لأنها لا تأخذ عامل الأهلية بعين الاعتبار، وهو العامل الحاسم في العملية.

وهذه العلاقة السببية هي ما سنتبينه في سياق بعيد عن سياق القول الخُطِّي، وهو سياق ما بعد الطبيعة، الذي كان مناسبة للتصريح من ابن رشد باستعمال أرسطو للأمثلة. يقر ابن رشد باستعمال أرسطو التمثيل في هذا السياق، بل أكثر من ذلك يقر أيضاً بالعرض الذي تقصده أرسطو من التمثيل. إن هذا الاستعمال كان من أجل تفهيم المعنى، "ثم أتى بمثال من ذلك مثل غيبة مدير السفينة ربما كان علة انقلابها وحضوره علة لسلامتها، مثل الملاح فإن غيبته عن السفينة قد تكون سبباً لعطب السفينة وحضوره سبباً لسلامتها وهذان كلاهما أعني الحضور وعدم الحضور علل كالحركة وهاتان الحالتان من مدير السفينة هما سببان للعطب والسلامة من جنس الأسباب المحركة والفاعلة"<sup>(23)</sup>. إن حضور مدير السفينة عامل حاسم في سلامة السفينة كما أن غيبته سبب فاعل في عطب السفينة. ومعروف أن التدبير يقتضي معرفة معينة تجعل صاحبها قادراً على ترتيب أفعاله الترتيب المناسب الذي يؤدي إلى تحصيل الغاية تحصيلاً ممكناً على الأكثر. ولا شك إذن أن وضع مصير الناس بين يدي الصدفة أمر لا يخلو من مخاطر، مثله مثل وضع مصير المسافرين بين يدي شخص لا يحمل من صفة الملاح سوى الاسم.

لكن لماذا الإلحاح على شرط الأهلية في أخذ السكان؟

ربما يكون القول الأخير لابن رشد قد أجاب عن هذا السؤال. فإذا كان من الأعراف أنه ينبغي ألا نأخذ بالقرعة في تحديد ربان السفينة، لأن القرعة عمياء قد تصيب أي أحد من غير اعتبار للأهلية التي



هي هنا حسن الملاحة، فإن الاعتماد على القرعة في تحديد مدير شؤون المدينة يؤدي إلى أن يحكم من ليس هو أهل لذلك، وهذا ما يهدد وحدة المدينة وبقائها. لهذا نقيس على أمر أبين وأعرف هو السفينة التي ظهر أنه لا يمكن اللجوء إلى القرعة في قيادتها إن كان أهلها يرغبون في تحقيق الخلاص. وعنصر الشبه بين السفينة والمدينة هو الحاجة إلى التدبير المسدد بالمعرفة لأجل الحفاظ على الوجود. لذلك فتدبير أي شيء ينبغي ألا يترك للصدفة. إن التدبير يعني الأهلية والكفاءة. وكما أن ضرورة الأهلية في أخذ السكان أبين، كذلك يجب اللجوء إلى هذه الأهلية في تدبير شؤون المدينة وتفادي القرعة: لأن من شأن القرعة أن تفضي إلى من لا يجب أن يدبر المدينة، فتخرج المدينة عن الطور المعتدل إلى طور الفساد.

وإذا كان تلخيص كتاب الخطابة لا يعلن عن الخلفية السياسية لمثال أخذ السكان، لأن الهدف من المثال كان سياسياً صريحاً (= لا ينبغي أن يتسلط أناس بالقرعة)؛ فإن مثال الملاح الذي يرد في تلخيص كتاب السياسة يذهب إلى حدوده القصوى.

ويجب أن نشير إلى الصلة المحتملة بين المثال السابق الذي هو لسقراط (وقد ورد عند أرسطو)، ومثال الملاح الذي ورثه ابن رشد عن أفلاطون، إذ يقول: "مثل الفلاسفة مع أهل هذه المدن مثل الملاح الحاذق في فن الملاحة وهو لا يجد من يتعلمها، ولا من يستفيد منها، وأهل السفينة يظنون أن فن الملاحة ليس شيئاً يطلب، ولا هو صناعة ينبغي أن يكون صاحبها هو قائد أصحاب السفينة. فإن قال لهم قائل إنها صناعة يجب تعلمها ضاقوا به، واجتنبوه. وبعدها يسلط على قيادة السفينة من يرى رأيهم في الملاحة وذلك إما بالتغلب على أهل المدينة، أو بغير ذلك من الأمور التي تنهياً له بها الرياسة. فإذا استحوذ على السفينة مثل هؤلاء القوم أفلا ترى أنهم سينفضون من حول القائد الذي هو حقا قائداً، بل ويزدرونه" (24).

هذا المثال هو أيضاً يقيم تقابلاً بين الملاحة بما هي صناعة يجب السعي إليها وتحصيل العلم بها، قبل الإمساك بدفة السفينة وأخذ السكان من غير علم، وإنما بالتسلط والتغلب أو بطرق أخرى. كما يقيم المثال تقابلاً بين رأي العارف بالصناعة والقادر على التمييز بين من يستحق أخذ السكان ومن لا يستحق، ورأي الجمهور الذي لا يقدر على التمييز. والهدف من هذا التقابل هو إظهار أن عدم ملكة التمييز يفضي إلى تسليم الجمهور مهمة تدبير شؤونهم لا لمن يستأهل ذلك، وإنما لمن يرى رأيهم، أو يتسلط عليهم، بالقوة أو بالمال على غرار ما يفعل أصحاب "رئاسة القلة"؛ إذ يقول في هذا المعنى: "وأول ما فيها من عيب أنه لا يمكن لذوي الكفاءة الرئاسة فيما يقومون به، بل إنما يرون ذلك في من

يكون ماله وحده كاف. وهم في هذا بمرتلة من فضل أن يكون قائد السفينة من قصر عليه المال من ركاها دون أن يأتمروا بأمر الربان الذي هو حقا في قيادته السفينة، لأنه لا يملك ذات اليد" (25). هذا التمثيل يستعيد نقاشا يتعلق بمسألة الأهلية الذاتية والاعتراف الخارجي بتلك الأهلية. وقد وجبت الإشارة هنا إلى أن مادة هذه المثال الملاحية قد نقلها ابن رشد عن أفلاطون، وإن كان قد أدخل عليها بعض التحوير الذي مسّ شخص قائد السفينة، الذي يظهر في مثال ابن رشد عارفا بالصناعة وكامل الأوصاف والأفعال، وهو الأمر الذي يجعله مؤهلا أكثر من غيره للقيادة، بينما هو في مثال أفلاطون شخص ينقصه سداد الرؤية وبعده النظر (26).

وعليه فموقف ابن رشد ربما يكون هو التالي: كما أن راكبي السفينة يجب أن يسلموا أمر تدبير شؤونهم للملاح الحاذق العارف، فإن الجمهور وعموم الناس ينبغي أن يطيعوا الحاكم الذي هو أعرف منهم بأمر السياسة. هذا التمثيل الذي ركّبناه انطلاقا من أقاويل ابن رشد ليس قائما على مجرد التحكم، وإنما بناء على وجود علاقة بين أطراف التمثيل. هذه العلاقة هي ما يسميه ابن رشد بالنسبة الواحدة، أو "الواحد بالتناسب"، يقول ابن رشد: "الواحد قد يقال على الواحدة بالتناسب مثل ما يقال أن نسبة الرئيس من المدينة والملاح من السفينة نسبة واحدة" (27). هذه النسبة الواحدة لها تبعاتها على أفعال كل طرف من التناسب. فإذا أردنا أن نبين شيئا ما لأمر ما، أعني أردنا أن نبين أن الملك لا ينبغي أن يسكر، وكان بيان هذا الحكم أظهر في شبهه الذي هو الملاح، "نقلنا البيان إلى الشبيه الأظهر، فإذا تبين ذلك المعنى فيه نقلناه إلى الأخصى. يقول: "إذا كانت نسبة الرئيس إلى المدينة، نسبة الملاح إلى السفينة، والملاح لا ينبغي أن يسكر، فالملك لا ينبغي أن يسكر" (28). فقد ظهر أن الشبه في النسبة هو الذي مكنتنا من أن ننقل الحكم من الملاح إلى الملك.

#### 4- من الملاحه إلى السياسة

الحقيقة أن موقف ابن رشد من البخت والاتفاق، لم يكن مجرد موقف نظري فقط، بل هو موقف سياسي في العمق. فبقدر ما يرفض البخت والاتفاق في الموجودات في العالم، سواء كانت طبيعية، أو صناعية ويرفض السفينة التي يعين فيها من يقودها بالقرعة أو البخت، إذ يصيب هذا أيا كان دون اعتبار للأهلية، يرفض في العمق المدينة القائمة على البخت والاتفاق.

إذا كانت "السياسات بالجملة أربع: السياسات الجماعية، وسياسة الخسة، وسياسة جوده التسلط، وسياسة الوحدانية وهي الكرامية. وهذه السياسات كلها المقصود بالسنن الموضوعة فيها إنما هو المدينة والكل لا الشخص" (29)؛ و"إذا كان ليس ينبغي أن يخفى علينا من هذا الذي رسمنا به هذه السياسات

غاية كل واحدة منها، لأننا إذا عرفنا الغاية علمنا الأشياء المختارة من أجل الغاية. فغاية السياسة الجماعية الحرية، وغاية حسة الرياسة الثروة، وغاية جودة التسلط الفضيلة والتمسك بالسنة، وغاية الوحدانية الكرامة<sup>(30)</sup>؛ فالظاهر أنه من بين السياسات التي يرفضها أبو الوليد، السياسة الجماعية التي غايتها الحرية، ومن ثم يرفض الأفعال التي تؤدي إليها. يقول: "فأما المدينة الجماعية فهي التي تكون الرياسة فيها بالاتفاق والبخت لا عن استئصال، إذ كان ليس في هذه المدينة لأحد على أحد فضل"<sup>(31)</sup>. وهو ما يعيد تأكيده في نص يشرح فيه محاوره الجمهورية لأفلاطون، فيقول: "والاجتماع في هذه المدن، ضرورة إنما هو اجتماع بالعرض، لأنهم لم يكونوا ليقتصدوا باجتماعهم غرضاً واحداً يجمعهم والرئاسة فيها إنما تكون باتفاق"<sup>(32)</sup>.

وإذ يدعو ابن رشد إلى أن يكون أخذ السكان في السفينة عن معرفة وصناعة تُتعلم، لكون المعرفة بصناعة الملاحة هي فقط ما يؤهل صاحبها إلى قيادة السفينة، فهو بهذا يدعو ربما إلى نوع من الحكم يسميه "جودة التسلط"، بالنظر إلى مدى التشابه بين شروط كل منهما، أو باختصار بالنظر إلى التشابه الموجود في العلة التي من أجلها ومن جهتها كان الملاح أهلاً لأخذ السفينة والحاكم أهلاً لتدبير المدينة. يقول ابن رشد: "وهذا التسلط الذي ذكره [أرسطو] صنفان: رياسة الملك، وهي المدينة التي تكون آراؤها وأفعالها بحسب ما توجه العلوم النظرية. والثانية: رياسة الأختيار وهي التي تكون أفعالها فاضلة فقط. وهذه تعرف بالإمامية"<sup>(33)</sup>. وهو ما يشرحه بقوله: "وأما جودة التسلط فهو التسلط الذي يكون على طريق الأدب والاقتداء بما توجه السنة [=الشريعة، والقانون]، فإن الذين يشيرون بما توجه السنة لهم هم متسلطون بجودة التسلط. وهذا هو التسلط الذي يحصل به صلاح حال أهل المدينة والسعادة الإنسانية. ولذلك كان هؤلاء أهل فضائل واقتدار على الأفعال التي تصلح المدينة، وأهل حزم وتحرز مما شأنه أن يفسد المدينة من خارج أو من داخل. ولذلك سميت هذه المدينة بهذا الاسم"<sup>(34)</sup>. ومن مقتضيات جودة التسلط أيضاً أن يكون "الملك في المدينة كالإله في العالم، وكما أن الإله واحد، كذلك ينبغي أن يكون الملك"<sup>(35)</sup>، لا حكماً جماعياً اتفاقياً، كما هو الشأن في المدينة الجماعية.

والغالب أن مادة هذا المثال مأخوذة بحرفيتها عن أبي نصر الفارابي، لكن مع قلب المقدمة والنتيجة؛ حيث يقول المعلم الثاني: "وكما أن الملك ينبغي أن يكون واحداً كذلك الإله ينبغي أن يكون واحداً"<sup>(36)</sup>؛ فالظاهر أن الفارابي يعتبر وحدة الملك في المدينة المقدمة الأظهر التي يمكن أن نستدل منها على المطلوب الأخصى الذي هو وحدة الإله في العالم؛ أما ابن رشد فينتقل من وحدة الله في العالم لبيان وجوب وحدة الملك في المدينة. فهل يكون فيلسوف قرطبة قد استعمل التمثيل من أجل الانتهاء إلى

هذه الغاية؟ أم أنها نتائج النظرة التناسبية للموجودات؟ وهل تختلف نتائج هذا التمثيل عن نتائج تمثيل الفارابي في كتاب الملة وآراء أهل المدينة الفاضلة؟ ربما كانت هذه النتيجة محرجة، ولكن هذا ما تظهره نصوص ابن رشد على كل حال.

يظهر أن تشبيه المدينة أو الدولة بالسفينة، والحكم بأخذ السكان، والحاكم بالربان، يعني تصورا معيناً للزمان، زمان السفر في السفينة والزمان المدني؛ وتصورا معيناً للمكان، مكان السفينة ومكان الدولة، وتصورا معيناً للمسار الذي تقطعه السفينة والدولة، وهما يشقان طريقهما نحو غايتيهما، وتصورا للأعراض التي يمكن أن تلحق المدينة والسفينة، وتصورا للعلاقة بين السفينة والربان، وللعلاقة بين الحاكم والدولة...

وإذ يصعب علينا الوقوف بتفصيل عند كل هذه الأبعاد، فإننا نقترح في تحليلنا لسلطة الحاكم كما ترسمها تمثيلات ابن رشد، فحص الاستعارة التي تنطوي على تأكيد لشيء مشترك بين صورة الحاكم وصورة الربان. فالقول بأن الحاكم ربان، له وقع كبير، وخصوصاً من جهة الاعتقاد بمصدر سلطته عند المحكومين. ولذا يحسن بنا أن نعيد مع ناصيف نصار طرح هذا السؤال الذي يبدو بديهياً: من يأمر من على ظهر سفينة في البحر؟

قد لا يطرق هذا السؤال بال المسافرين في الأحوال العادية. أما إذا تعرضت السفينة لخطر داهم، فإن السؤال عن صاحب السلطة على ظهر السفينة يصبح سؤالاً مصيرياً، مما يعني أن الحاجة إلى الحاكم تفرض مسألة دفع الفساد، أو تفاديه، وطلب السلامة والصلاح للسفينة ولأهلها. وفي الواقع، عندما يركب المسافر السفينة للانتقال من مكان إلى مكان، فإنه يقبل مبدئياً أن يضع نفسه تحت سلطة ربان السفينة. فالربان هو الذي يأمر على ظهر سفينة في البحر، والمسافرون هم الذين يأمرون. وتبعاً لذلك تكون أوامر الربان وتوجيهاته دائمة في ما هو ضروري للتحرز مما شأنه أن يفسد السفينة من خارج أو من داخل، وللحث بالمقابل على الأفعال التي تصلح السفينة لتأمين سلامتها، وسلامة المسافرين، وإيصالهم إلى المكان الذي يقصدونه(37). ومن هذا الباب فليست أوامر وتوجيهات ربان السفينة تقبل الأخذ والرد؛ لأن العمل بها وحده هو ما يكفل تحصيل الغاية. من هنا تكون هذه التوجيهات والأوامر بمثابة موضع للتسلط الذي يمارسه الربان على أهل السفينة والسفينة. أما مصدر هذا التسلط، فإنه موجود في الأهلية، ومن الموقع الذي يحتله. فالمسافرون، إذ لا يمكن أن يكونوا كلهم ملاحين، مضطرون للائتمار لأوامر الربان طيلة الرحلة، والتعامل معها بوصفها نصوصاً لا تقبل التأويل، على رغم أنها قد لا تكون يقينية في ذاتها، ولا تحصل الغاية منها ضرورة.

ويمكن أن نقول إن كل صورة من هذه الصور في مثال السفينة مقصودة للتركيز على معنى رئيسي (رئيس) واحد، هو قيادة الربان للسفينة. ومع أن هذا المعنى له مقدمة خاصة به، فإنها تتسم بسميتين أساسيتين وهما عدم افتراض فارق في الطبيعة، أو في الكرامة الشخصية بين صاحب السلطة والموقع، وإدخال المعرفة بالصناعة، أو الخدق لتحديد القدرة التي تنبثق السلطة منها. بمعنى أن الربان والمسافرين أفراد متساوون من جهة الطبيعة. ومن هنا ليس المطلوب من صورة الربان أن توحى بأن مصدر سلطة الحاكم هو الطبيعة، إذ ليست الطبيعة هي مصدر سلطة الربان وإنما المطلوب منها أن تضع في الصدارة عامل المعرفة عند الحاكم (38). فعندما يكون الرئيس بالنسبة إلى المحكوم كالربان بالنسبة إلى المسافر، فإن سلطته تؤكد نفسها بوظيفتها التي تحصل فيها الممكن على الأكثر. لكن ابن رشد وتبعاً لنص محاورة السياسة لأفلاطون يذهب في اتجاه إظهار فارق في الطبيعة بين الحاكم والمحكومين، فليس استعداد الفيلسوف كاستعداد غيره، كما أن معدن الفضة ليس كمعدن الذهب... لذلك لا يستقيم القول إن العلاقة بين الربان والمسافرين غير قائمة على تفاوت ما في الطبيعة، كما العلاقة بين الحاكم والمحكومين، لأن في هذه العلاقة ما هو فطري فضلاً ما هو متعلم طبعاً (39).

صحيح أن عامل الدراية بالصناعة يظل حاسماً في مسألة تدبير شؤون المدينة والسفينة. فلا بد للربان من معرفة صحيحة بأحوال البحر والجو، وبكيفية تحريك دفة السفينة، وتوجيهها والتحكم فيها في جميع الظروف والشروط الجوية والمناخية، وتدبير مؤمها وحمايتها. ويأخذ الربان هذه المعرفة من علوم البحار، والفلك، ومن علوم الحركة، والتقنيات التابعة لها، وقد يكون هو نفسه مشاركاً في هذه العلوم؛ بمعنى أن إحاطة الربان بهذه المعارف هي ما يؤهله لاستثمار ملكة "الروية" عنده. وبفضل هذه المعرفة يتميز الربان عن عموم المسافرين، ويتولى عملية نقلهم من مرفأ إلى مرفأ. لكن هذا يتوقف أيضاً على رأي أهل السفينة، أعني إن كان أهل السفينة يظنون أن فن الملاحة شيء يطلب، وصناعة ينبغي أن يكون صاحبها هو قائد أصحاب السفينة (40). وما نقوله عن الربان يجب أن نقوله على (عن) الحاكم؛ إذ من الأكيد مسبقاً أن المعرفة التي يمكن أن يركز عليها في لعب هذا الدور أمتن، وأوسع من المعرفة التي يمكن أن تتوفر لدى سائر الناس. ويكفي أن نتصفح كتاب الضروري في السياسة حتى يتضح أن فقرات طويلة خصصها ابن رشد لخصال الحاكم أو الفيلسوف (41).

#### خاتمة

يمكن القول انطلاقاً مما سبق إن الملاحة باعتبارها صناعة تضم مجموعة من المكونات والمفاهيم والإجراءات النظرية وعملية، قد سمحت لابن رشد بتمرير وتبرير مجموعة من الآراء والدعاوى، التي

يبدو أن القول فيها بشكل مباشر لم يكن موضع اهتمام رئيس لديه؛ لكنه كان يسجل بخصوصه بعض المواقف كلما سنحت له الفرصة بذلك. لكن هذه المواقف التي سجلت على غير القصد الأول يمكن أن تقدم لنا فكرة أساسية عن تمثل ابن رشد للاجتماع البشري، ولتصوره لطرق تدبير هذا الاجتماع بما يديمه ويحفظه. ولعل أهم عنصر يبدو لنا في هذا التمثيل هو عدم اطمئنان ابن رشد إلى كل ما لا يحكم بالضرورة. والحال أن الأمور الإرادية كلها محكومة بالإمكان، لذلك فإن تسديدها السليم لا يمكن أن يكون في نظره إلا بالأهلية، حتى تقترب من الضرورة؛ أما أن يقرن الممكن بالاتفاق، فلا شك أنها قد تفضي إلى تهديد الصنائع وال عمران في آن معا.

-----

1-ورد في حديث نبوي ما يلي: "حدثنا أبو نعيم: حدثنا زكرياء قال: سمعت عامرا يقول: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا". صحيح البخاري.

2-استثمرت صورة السفينة في سياقات سياسية دينية معاصرة، لعل أشهرها محاولة تصوير جماعة ما نفسها على أنها تتركب سفينة الإنقاذ من طوفان الفساد، بل واستغلال رسم السفينة أو المركب في أعلامها ولافتاتها. وهي تستوحي قصة سفينة النبي نوح. ولن نخفل بهذا الاستثمار في هذا المقال.

3- Charles Maurras, *l'allée des philosophes*, cité par Maurice Weyembergh, *et la révolution française* (Paris: Vrin, 1992) p.17.

4-ناصر، منطق السلطة: مدخل إلى فلسفة الأمر (بيروت: دار أمواج، 2001) ص 36، هذا ووجبت الإشارة إلى أننا نقتبس من هذا الكتاب بعض التحليلات النافذة التي نستثمرها في ملاحظتنا أسفله.

5- Charles Maurras *et la révolution française* (Paris: Vrin, 1992) p17. Maurice Weyembergh, -

- Charles Maurras, *l'allée des philosophes*, cité par Maurice Weyembergh, *op. cit.*, p17.-6

7- (1, 2000) p. 109.62 Cf. Odon Vallet, 'Gouverner ou tenir la barre,' *Persée* -

8- J. B. Brenet, *transferts des sujet. La noétique d'Averroès selon Jean de Jundun* (Paris: Vrin, --8 2003) p.60.

9-أرسطو، القياس، تحقيق فريد جبر، نشر ضمن مجموع تحت عنوان النص الكامل لمنطق أرسطو (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1999) 1. 13.

10-يقول ابن رشد: «والممكن يقال على ثلاثة أضرب: أحدها الممكن على الأكثر - مثل أن يشيب الإنسان في سن الشيخوخة وينمى في سن الشباب؛ والثاني الممكن على الأقل، وهو الذي يقابل الممكن على الأكثر - مثل أن لا يشيب الإنسان في سن الاكتهال، ولا ينمى في سن الشباب؛ والثالث الممكن على التساوي، وهو الذي يمكن أن يكون وأن لا يكون على التساوي - مثل تمزق هذا الثوب أو لا تمزقه.»؛ تلخيص كتاب القياس، تحقيق محمود قاسم وتشارلس بتورث وأحمد عبد الحميد هريدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983) ف 103.

11-يقول أرسطو: «مثل أن يشيب الإنسان أو ينمى أو ينقص»؛ القياس، جبر: 1، 13.

- 12- ابن رشد، تلخيص كتاب القياس، ف 103؛ وقد أخذ ابن رشد هذا المثال من أرسطو، كتاب العبارة، تحقيق فريد جبر نشر ضمن مجموع تحت عنوان النص الكامل لمنطق أرسطو (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1999) 1، 9.
- 13- أرسطو، القياس، جبر: 1، 13.
- 14- أرسطو، القياس، جبر: 1، 13.
- 15- ابن رشد، تلخيص كتاب القياس، ف 103.
- 16- ابن رشد، تلخيص كتاب البرهان، تحقيق محمود قاسم وتشارلس بتروورث وأحمد عبد الحميد هريدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982) ف 91؛ ويقول أيضاً: «فإن الصناعة والطبيعة كلتيهما إنما تفعلان لمكان غاية من الغايات ولا لشيء من الأشياء. ولذلك كان حدوثه أقلياً. ولم يكن هذا السبب معدوداً في الأسباب المطلوبة، ولا استعمل حداً أوسط في البراهين»؛ نفسه، ف 129.
- 17- ابن رشد، الكليات في الطب، تحقيق مراد محفوظ ومن معه (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999) ص 469،
- 18- ابن رشد، الكليات في الطب، ص 127، ف 2؛ 19- محمد عابد الجابري على هامش ابن رشد، الكليات في الطب، ص 47،
- 20- الكليات في الطب، ص 129، ف 2.
- 21- ابن رشد، تلخيص كتاب الخطابة، تحقيق مارون عواد (باريس: فران، 2002) 2. 20. 5.
- 22- ابن رشد، تلخيص كتاب البرهان، ف 129.
- 23- ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق موريس بويج، ط. 5 (بيروت: دار المشرق، 2004) ص 487.
- 24- ابن رشد، الضروري في السياسة، نقله من الترجمة العبرية الى العربية أحمد شحلان (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998) ص 139، ف 180.
- 25- ابن رشد، الضروري في السياسة، ص 185، ف 304. ويضيف مباشرة: «ومن فعل هذا الفعل فإنه لا محالة يقود السفينة الى هلاك، وكذا الأمر في المدينة»؛ نفسه.
- 26- غير أن ابن رشد لم يكتف بهذا المثال، فمثل لعدم ائتمار المدن بأقوال الفلاسفة وعدم الإقتداء بهم بصناعة الطب والأطباء، وهو مثال لا نجد له أثراً عند أفلاطون في هذا الموضوع بالذات. فقد مثل للفلاسفة مع أهل المدن بمثلة الأطباء من المرضى الضروري في السياسة، ص 139، ف 180.
- 27- أورده محمد المصباحي، الوحدة والوجود عند ابن رشد (البيضاء: منشورات المدارس، 2002) ص 59؛
- 28- ابن رشد، تلخيص كتاب الجدل، محمد سليم سالم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980) ص 120.
- 29- تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 2.
- 30- تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 9؛ انظر تفاصيل هذه المسألة في الضروري في السياسة، ص 174-175 ف 274-275. ومقالة لمحمد المصباحي، 'الحرية بين العقل النظري والعقل العملي'، ضمن مع ابن رشد (البيضاء: توبقال، 2006) ص 61-64.
- 31- تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 3؛ وكما يرفض ابن رشد السفينة التي يأتي سكانها من يقودها عن طريق التسلط، يرفض أيضاً: «وأما حسنة الرياسة فهي التي يتسلط بها المتسلطون على المدنيين بأداء الإتاوة والتغريم، لا على جهة أن تكون نفقة للحماة والحفظة ولا عدة للمدينة، على ما عليه الأمر في السياسات الأخر، بل على جهة أن تحصل الثروة للرئيس الأول. فإن جعل لهم حظاً من الثروة كانت رياسة الثروة. وإن لم يجعل لهم حظاً من الثروة كانت رياسة التغلب، وكانوا بمثلة العبيد للرئيس الأول، وكانت محاماته عنهم بمثلة محاماة الإنسان عن عبيده»؛ تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 4.
- 32- الضروري في السياسة، ص 175، ف 275.
- 33- تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 6.
- 35- تلخيص كتاب الخطابة: 1. 8. 5.

- 36-ابن رشد، مختصر الخطابة، تحقيق شارل بترورث ضمن مجموع نشر تحت عنوان Averroes, *Three Short Commentaries on Aristotle's "Topics", "Rhetoric", and "Poetics"* (New York : Albany State University of New York Press, 1977) ص184.
- 34-الفارابي، كتاب القياس، تحقيق رفيق العجم، ضمن المنطق عند الفارابي، الجزء الثاني (بيروت: دار المشرق، 1986) ص 124.
- 37-انظر: ناصيف نصار، منطق السلطة، ص 36-40.
- 38-اصيف نصار، منطق السلطة، ص 40.
- 39-يقول ابن رشد، بخصوص التفاوت الطبيعي في الخصال بين الفيلسوف الحاكم وعمامة الناس: «إحداها وهي أخصها، أن يكون بالفطرة مستعدا لتحصيل العلوم النظرية، وذلك يكون إذا كان بالفطرة يميز بين ما هو جوهر وما هو عرض»؛ الضروري في السياسة، ص 137، ف 1.
- 40-ابن رشد، الضروري في السياسة، ص 139، ف 180.
- 41-أشرنا في هامش سابق إلى حصول الاستعداد الطبيعي للمعرفة البرهانية، وعن باقي الخصال انظر نفس المصدر، ص 137-138.

## ترجمة جديدة لمحمد العماري

